العلم يبحث عن الله

ترجمنا هذا المقال لكاتب انجليزي بالعنوان المتقدم، وعنينا كل عناية بالمحافظة على معانيه وبافراغها في قالب عربي أقرب ما يستطاع من القوالب الأصلية، ولزمنا هذه القوالب أحياناً اذ لم نجدها مختلفة عن العربية، لأننا كثيراً ما نرى الترجمة تخالف الأصل في المعاني وفي الألفاظ. وليس لذلك من سبب سوى مبالغة المترجم في تقريبها من العربية فتكون النتيجة شرودها عنها جميعاً

***

جلست ذات ليلة شديدة البرد بجانب الأب رولند العالم اليسوعي عند قاعدة التلسكوب الكبير في مرصد ستونيهرست في آكام لنكشير

ولم يكن هناك نور سوى وهج سيجارتينا وبعض النجوم المتلألئة التي كنا نراها من الشق المعقوف في قبة المرصد

ولم يسمع حسّ سوى دويّ الجهاز المدّ لادارة التلسكوب وجعل حركته مطابقة لدوران الأرض.

وكنت قد رأيت جبال القمر ومجموعة الكواكب الذرية المعروفة باسم الثريا. فجعلت الآن أمتع بصري بذلك السدام الغريب في برج الجوزاء، وأنا بين عاملين من الخوف والدهش مما لا تجليه المناظر الأرضية

فالتفت الى صاحبي وقلت: «تعلم عن هذا الفلك المدار ما لا يعلم معظم الناس، لأنك قضيت ردحاً من عمرك في رصد النجوم فاصبحت لذلك أكثر ادراكاً منهم لصغر شأن الانسان بالنسبة الى سائر الكون. فان الارض ليست سوى ذرة من الغبار وهي عائمة في الفضاء الخضم غير المحدود، والنوع الانساني كله صغير القدر بالنسبة الى قدر الأرض. فلست أفهم كيف تؤمن أنت من بين سائر الناس بالله واهتمامه بأناس مثلنا».

ولما فرغت من سؤالي هذا بقي القسيس العالم صامتاً هنيهة ثم قال:

«أفهم حقارة شأن الارض لا حقارة النوع الانساني ولا حقارة أرواح الناس»

فلم أرجع جواباً حينئذ، ولا جواب عندي الآن، لأني أدرك أكثر مما أدركت قبلاً أنه اذا كان العالم متديناً كان أحسن ديناً لأنه عالم. وهو يرى حيثما كان أن البرهان يدعم ايمانه لا لأنه يحتاج الى البرهان، ولكنه يسر اذ يجده هناك

طالعت منذ عهد قريب كتاباً اسمه «القصد الأعظم» وفيه فصول كتب كلا منها عالم معروف، أبان في الفصل الذي كتبه أن يد الله وعقل الله وراء كل نظام ورقي في الطبيعة. وقد جاء في مقدمته «ان غرض الكتاب أن يبين أن العلم ليس بهادم للدين ولا بحال محله، بل إنه يكشف له الحجاب عن عالم للغيب أوسع من عالم الشهادة هذا وأجل شأناً فيضع بذلك أساساً أثبت للايمان»

ان الكون بالرغم من عظم اتساعه وتعقد تركيبه وتعدد محتوياته الى ما لا حد له هو جسم كلي عضوي متسق التركيب، ومصنوع من عناصر واحدة جوهرية، وخاضع لنواميس واحدة

ومن أدلة النظام والعقل في الكون أن عقل الانسان استطاع أن يستخرج هذه القواعد العظيمة العامة ويتوسل بها الى بلوغ قوة الأنباء بالمستقبل. فهذا الكون كون مصحوب بالفكر وأكثر من الفكر — كون يمثل فكر روح واجب الوجود وغير محدود

كتب البروفسور كروذر من جامعة رذج فصلاً عن الاشعاع فعرفه بأنه «المادة الأساسية التي صنع الكون منها» فالنور والحرارة وأمواج اللاسلكية وأشعة اكس — هذه كلها صور للاشعاع واقعة تحت حسنا. والمادة نفسها مصنوعة من اشعاع مقيد بقيود كهربائية. قال:

«في زمان بعيد جدا اهتز ذلك الخلاء الفارغ فظهر فيه البروتون والالكترون فتكون من بعضها تلك النظم الثابتة المعروفة باسم الجواهر الفردة التي صنعت المادة منها. وانحل البعض الآخر على مر الزمان الى اشعاع صرف. وقد قطع العلم منذ ابتدائه أجوازاً كثيرة وكشف بقاعاً كثيرة كانت مجهولة، ودار دورته حتى جابه العلم الحديث سر عمل الخلق فلا يجد لوصفه كلاماً أكثر مطابقة له من قول الشاعر العبري «وقال الله ليكن نور فكان نور» (يريد بالشاعر العبري موسى الكليم)

وخذ البروتوبلازم — أي المادة التي تكونت الحياة منها. فقد عرف تركيبها الكيميائي، ولكننا لم نستطع تركيب الحياة: فالاميبا أدنى أنواع الحيوان وأبسطها تركيباً مؤلفة من